الفصل السابع

صعود حركة الثورة العربية بعد الحرب العالمية الثانية

مقدمة :

شهد الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، حركة واسعة ، تنامت خلالها ظاهرة الثورات والنضال من أجل التحرر والاستقلال . وقد اقترن هذا النضال بالتوجه نحو الوحدة في جميع الاقطار العربية ، بدرجات متفاوتة . كما اخذت حركة الاستقلال ابعاداً اشتراكيـة ، اذ ادرك الشعب العربي ان الاستعمار يستطيع ، طالما بقيت له جيوب اقتصادية وثقافية ، ان يسلب الاستقلال السياسي محتواه الحقيقي ، وان باستطاعته ذلـك طالـما بقيت الاقطار ضمن اطار التطور الرأسمالي ، وتحت رحمة الشركات الاحتكارية . وعلى هذا الاساس ، فان حركة الاستقلال العربية لم تكن ، كما يقول الدكتور الياس فرح في كتابه « مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية » موجهة ضد الانظمة الحاكمة الرجعية فقط وانما ضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي والاجتماعي والثقافي وضد التجزئة كذلك . ولم تعد تقوم انتفاضة ما في الوطن العربي في معزل عن دعم الجماهير العربية في الاقطار الاخرى ، لابل اصبح تطور الاوضاع داخل الاقطار العربية في مرحلة مابعد الحرب مرتبطا الى حد بعيد بهذا التحرك الجماهيري الجماهيري الممتد من شرق الوطن العربي الى غربه .

ان من ابرز الاحداث التي وقعت في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانيـة ، ظهور سلسلة من الثورات والانتفاضات التي عبرت عن رغبة الشعب العربي في التخلص من الاستعمار والقوى الرجعية المرتبطة به . وقد قامت القوى الاجتماعية الجديدة التي ظهرت قبيل الحرب العالمية الثانية وفي مقدمتها الطبقة البرجوازية بدور كبير في قيادة

هذه الانتفاضات والثورات سواء كانت ذلك من خلال الاحزاب الوطنية والقومية التي تشكلت خلال تلك الفترة أو من خلال تنظيمات الضباط الاحرار ومن هذه الثورات : ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر وثورة ١٩٥٤ في الجزائر وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق وثورة ١٩٥٨ في لبنان والثورة الاردنية ١٩٦١ وثورة ١٩٦٢ في اليمن وثورة اليمن الجنوبي ١٩٦٣ والثورة الفلسطينية ١٩٦٥ .

ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر :

اشرنا في الفصل السابق الى ان فاروق خلف اباه الملك فؤاد في حكم مصر عشية الحرب العالمية الثانية . وقد عرف فاروق بعدائه للوفد وللحكم النيابي . ويبدو ان حزب الوفد نفسه قد بدأ يواجه ازمات عديدة في عهد الملك فاروق ، وقد ساعدت تلك الأزمات فاروق نفسه على تجاوز الوفد . وتمثلت تلك الأزمات بعجز الوفد عن تنظيم الجماهير وعدم قدرته على تبني برنامج (اصلاحي يفي بحاجات البلاد) وسبب ذلك يرجع الى عدم وجود انسجام في تكوينه الطبقي من جهة واعتماده على عدد كبير من الملاك والتجار بين اتباعه في الحصول على مقاعد برلمانية والوصول الى السلطة .

هذا فضلاً عن ان سنوات الحرب العالمية الثانية شهدت تطورات لم يدرك حزب الوفد جميع دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فقد زادت الهوة نتيجة للحرب بين الاغنياء والفقراء. فبين سنتي ١٩٤٠ و١٩٤٤ ارتفع عدد اصحاب الملايين في مصر من ٥٠ الى ٤٠٠ . وازدادت الودائع في البنوك خلال السنوات الثلاث الاولى في تلك الفترة من ٤٥ الى ١٢٠ مليوناً من الجنيهات . لكن التضخم المالي وما استتبعه من غلاء في الاسعار لم يجر معه ارتفاع في اجور العمال ، وخاصة اجور الفلاحين وفي رواتب الموظفين . وقد جر انتهاء الحرب معه انتشار البطالة بشكل كبير .

اتجه الملك فاروق خلال الحرب العالمية الثانية الى التعاطف مع قوى المحور . لذلك أقدم الانكليز سنة ١٩٤٢ على التدخل واجبار الملك على تكليف مصطفى النحاس زعيم الوفد بتشكيل الوزارة في حادثة عرفت في التاريخ المصري الحديث بـ (حادثة ٤ فبراير) وملخص هذه الحادثة قيام الدبابات البريطانية بمحاصرة مقر الملك فاروق في قصر عابدين ودخول السفير البريطاني السير مايلز لامبسون عليه واجباره على اسناد الحكم الى حزب الوفد لسببين اولهما انه كان يمثل انذاك القوى المعادية لدول المحور

وثانيهما ان الوفد هو الذي توصل الى معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا . ويذكر طارق البشري في كتابه الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، ان للطريقة التي فرضت بها حكومة الوفد على القصر الرها لافي تفاقم العداء بين الملك والوفد فقط ، ولكن في ادراك الملك لما يمكن ان ينجم من خطر شديد على نفوذه من جراء سياسة تؤيد بها بريطانيا الوفد ذي العداء التقليدي للملك". لذلك ماان قاربت الحرب على الانتهاء حتى بادر الملك الى اقالة وزارة النحاس في ٨ تشرين الاول ١٩٤٤ . ومنذ ذلك الوقت اعتمد الملك في حكمه على احزاب الاقلية المعبرة عن مصالح كبار الرأسماليين وملاك الأرض فكلف احمد ماهر رئيس حزب السعديين بتأليف وزارة تمثل فيها كافة احزاب الاقلية السعديون والاحرار الدستوريون والكتلة والحزب الوطني ، على ان يحل البرلمان الوفدي وتجرى انتخابات جديدة . وكان الهدف من ذلك تكتيل القوى الرجعية استعداداً لفترة مابعد الحرب وتصدياً للحركة الوطنية المتوقعة .

لقد انطوت حادثة فبراير على اهانة للمصريين وجرح لكرامتهم . وظلت هذه الحادثة جرحاً في قلوب ضباط الجيش الذين اكدوا بانها كانت عاملا اساسياً في تكوين تنظيم الضباط الاحرار . وكانت الفترة مابين ١٩٤٥ وحرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فترة تنظيم وتجنيد للاحرار من الضباط الذين وجدوا في البكباشي (المقدم) جمال عبد الناصر طاقة محركة هائلة النشاط . واخذ هؤلاء الضباط يوزعون المنشورات لنشر افكارهم وحفز همم الآخرين . ونجاء في احدها : « ان هيئة الضباط الاحرار تطالب بان تكون مهمة الجيش هي تحقيق استقلال البلاد ، ولانقبل ان يستعمل الجيش للقضاء على الحركات الوطنية » .

كان الوطنيون المصريون ينتظرون من بريطانيا ان تعيد النظر في معاهدة ١٩٣٦ باعتبارها قد استنفذت اغراضها . وفي ٢٣ ايلول ١٩٤٥ اصدر مجلس الوزراء المصري بيانا اشار فيه الى ان حقوق مصر الوطنية كما اجمع عليها رأي الامة واعلنتها الحكومة هي جلاء القوات البريطانية عن مصر وتحقيق وحدة مصر والسودان غير ان الحكومة البريطانية ردت على المذكرة بقولها ان المباديء الاساسية التي قامت عليها تلك المعاهدة سليمة في جوهرها . ولم يكد يذاع هذا الرد حتى عمت المظاهرات البلاد واستمرت منذ ٩ شباط وحتى ٢١ من الشهر ذاته ، وذهب ضحيتها ٣٣ قتيلاً من المتظاهرين .

حاولت بريطانيا انتهاج اسلوب الترضية ، فسحبت سفيرها لامبسون وأجلت قواتها عن قلعة القاهرة وسلمتها للجيش المصري ثم دخلت في مفاوضات مع حكومة اسماعيل